الآداب العربية

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

أدباء الاسلام في ختام القرن التاسع عشر (تابع)

(عبد السلام الشطّي) واشتهر في طرابلس الشام قبل هؤلاء بزمن قليل الشيخ عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بالشطّي الدمشقيّ . واصل اسرته من بغداد وولد هو بدمشق سنة ١٢٥٦ (١٨٤٠) ثم درس العلوم الدينيّة والفقهيّة على علماء الفيحاء وتقيّد على الطريقة القادريّة . وكان محبًّا للآداب مشهورًا بفرط الذكاء وحسن النظم غلب على شعره اللطف والعذوبة . ولهُ ديوان طُبع بهمّة حفيده محمّد جميل الشطّي سنة ١٣٢٤ . وقد سافر المترجم الى بلاد الروم مرّتين ودخل القسطنطينية سنة ١٢٩٣ ووُجّه عليهِ تدريس ادرنه وخُصّص لهُ راتب سنوي من الصرّة السلطانيّة . توفي فجأة في دمشق في ١١ محرّم سنة ١٢٩٥ (منتصف كانون الثاني ١٨٧٨) . ومن شعره ما قالهُ في وصف بيروت وتهنئتها بسحب ماء نهر الكلب اليها :

بيروت اني في هواها ارغبُ ... من ثغرها البسّام طابَ المشربُ
يا حسنها من بلدة قد خصّها ... ربُّ العباد بما يسرُّ ويطربُ
بين البلاد بديعةٌ فكأنّها ... شمسٌ على افق الدلى لا تغربُ
يا طالما قد زرتُها فوجدتُها ... ظمآنةً من حرّها تتلهّبُ
حيرانةً حار الطبيب بدائها ... ودوائها قد عزّ فيهِ المطلبُ
تشكي وتبكي حسرةً وتأسّفًا ... من فقدها ما تشتهي وتطلبُ
من بعد ذاك اتيتها فوجدتُها ... غتالُ من عجبٍ وذيلًا تسحبُ
فسألتها من حالها فتبسّمت ... واصلٌ من فيها فُراتٌ اعذبُ
فاشتقت نفسي بيرد حيها ... فغدوتُ في شغفٍ بها اتقلّبُ
وانبتُ في هذا النظام بهنّا ... اذ جاءهم هذا الطهور الطيّبُ
وزجوتُ من فضل الاله دوامهُ ... في كلّ حين دائمًا لا يُحجبُ

وكتب رقعةً دعا بها بعض اصحاب الفضل من اصدقائه :

يا سادةً في دورهم تسلسلت قومٌ كرامْ
وزيّنوا بجمعهم ليل الشتا في كل عامْ
ومتّعوا بقربهم صديقهم مدد الدوامْ
اذا اردتم انهُ يحظى بكم على الدوامْ
اعطوهُ منكم موثقاً يحفظكم على الكلامْ
في ليلة لطيفةٍ في داره لكم تقامْ
ويرتجي من فضلكم ارّخ بهِ الدور ختامْ (١٢٨٩)

وقال مستعمرًا :

يا ربِّ انَّ العبد عبدٌ مذنبٌ وهو فقيرٌ ما لهُ عنك غنى
قد قطف اللذّاتِ في شبابهِ بجهلهِ فاغفر لهُ ما قد جنى

(محمد الميقاتي) وفي هذا الوقت عُرف شاعر آخر فاضل وهو الشيخ محمّد افندي ابن عبد القادر الميقاتيّ وكان طرابلسيًّا اديبًا لهُ النظم الرائق فجمع شعرهُ بعد وفاتهِ سنة ١٣٠٢ (١٨٨٤) الاديب عبد الحميد بن محمّد حبلص احد مواطنيهِ وطبعهُ في بيروت في المطبعة الادبيّة سنة ١٣٠٤ ودعاهُ ديوان حسن الصياغة لجوهر البلاغة فمن قولهِ يعاتب الدهر :

الدهر شيمتهُ يُبدي لنا العجبا فلا تكن من فعال الدهر مستجبا
ولا تثق بشرابٍ منهُ وقت صفا فيستحيلُ سرابًا صفوهُ وهبا
ولا يغرّك ما يوليك من منحٍ فقلبها بمن تركو بهِ لعبا
ان يسحِ الدهرُ يومًا يستردُّ غدًا او يُحسن الدهر يومًا بالاسى انقلبا
هيهاتِ يُجدي الفتى من دهرهِ هربٌ ولو سما فوق افلاك انسا مرتبا
فالصبرُ اجملُ بالحرّ الكريم على ما خطَّهُ قلم الاقدار او كتبا
ما لي وللدهر يرميني بكلكلهِ كأنّني قاتلٌ اما لهُ او ابنا
ويلاهُ من زمنٍ كم ذا يُقاتلني من جوره بالأسى ويلاهُ وا تعبا
اهل البسيطة قد اثنت على ادبي واذعنت لي بأني سيّد الادبا
ودأبُ قومي معاداتي ومنقصتي ولا ارى ليَ ذنبًا لا ولا سببا
لا ذنب لي غير اني فقتهم شرفًا وانّني فقتهم بين الورى رُتبا
ما ضرّني لا اقال الله عثرتهم لو انّهم قابلوا فضلي بما وجبا

ولهُ مؤرّخًا دار بناها آل كتفليس في طرابلس :

لكمُ الهنا يا آل كتفليس يا أهلَ المآثرْ

جددتمُ فوق العلى بيت المكارمِ والمفاخرْ
بيتٌ لحسن بنائهِ بدرُ المسرَّةِ فيهِ سافرْ
قد شادهُ اسكندرٌ مَنْ فضلهُ في الناسِ ظاهرْ
والسعدُ حول رحابهِ بالعزِّ والاقبال دائرْ
وفم السعادة قد غدا ارّخْ لهُ بالشكر فاغرْ (١٨٦٨)

وقال مختتماً :

لن أشتكي ضني وضنكي وشذتي ومَن يَشفِ اسقامي ويرحمْ لهفتي
لجأتُ فما لي غير ذلّ مقالتي الهي بتقديس النفوس الزكيّةِ
وتمجيدها من عالم البشريّةِ
وبالنور سرّ الكائنات ومن دنا اليك مقاماً لن يحيط بها سنا
وناديتهُ ها انت حي وها انا أزلْ عن فؤادي ما ألاقي من العنا
فاني قليل الصبر عند البليّةِ

(عبد الفتّاح اللاذقي) ونبغ في اللاذقية في الوقت عينهِ شاعر متفنن ابو الحسن عبد الفتّاح ابن مصطفى بن محمّد المحمودي اللاذقي العطّار كان مولدهُ سنة ١٢٥٨ (١٨٤٢) ونظم الشعر في شبابهِ ثم جمعهُ في ديوان دعاهُ « سفير الفؤاد » فطبعهُ في بيروت في مطبعة جمعيّة الفنون سنة ١٢٩٧ (١٨٨٠) وجعلهُ اربعة اركان في المدائح والتوسّلات ثم في امتداح السادات ثم في التهانئ والمراثي واخيراً في القدود والموشّحات. فمن ذلك قولهُ مبتهلاً الى الله عزَّ وجل :

تكوّنتك فانافي وانتك تسلمُ بحالي ونار الفقر في القلب تُضرَمُ
وللخلق لا اشكو افتقاري وفاقتي فمن يشكُ للمخلوق لا شكَّ يندمُ
فجُدْ لي برزقي يملأُ القلبَ غنّةً فجودُكَ لي عزٌّ وكنزٌ ومغنمُ
والّا فصبّرني على ما قسمتَ لي فأمرك يا ربَّ البريّةِ مُبرَمُ

وكتب الى نائب المحكمة فيض الله افندي عن لسان شيخ كان خدم جبل الريحان وصلّى في اهلهِ فلم يعطوهُ حقَّهُ من الموسم :

اخا الافضال فيضَ الله يا من حوى المجد المؤثّل واللطافهْ
فناقِلُ شقّتي هذا فقيرٌ وموصوفٌ بانواع العفافهْ
لقد صلّى بأقوامٍ إماماً وفي محراجم جعل امتكافهْ
وفي شهر الصيام فكم تمنّى وكم قد سار مع بُعد المسافهْ
لقد جحدوا امامتهُ وبادوا لهُ بالهزل جدّاً والكثافهْ

وما جادوا لهُ ابدًا ببُخْلٍ ولا عدلوا لهُ ابدًا بضيفه
وقد حرموه من اكل المحاشي ومن اكل القطائف والكنافه
فهم قومٌ لقد مكروا جهارًا وليس لهم من المولى مخافه
وقد رُفعتْ قضيَّتهُ اليكم وفي انظاركم يرجو انتصافه
اخا الافضال فانظر امر هذا فعينُ العدل لم تنظر خلافه
فهذا قد أُضيف الى ملاكم وحاز الفخر في تلك الاضافه

ومن محاسن شعره قولهُ في مولود سنة ١٢٧٩ :

الروضُ زاهٍ زاهرُ والغصنُ باهٍ باهرُ
والسعدُ والٍ مقبلًا والفخرُ وافٍ وافرُ
والطيرُ يشدو قائلًا هلَّ الهلالُ السافرُ
اهلًا بهِ من قادمٍ في كلِّ جاهٍ جاهرُ
بشراك فيهِ أيها السخيُّ الفخيمُ الفاخرُ
فاهنأ بهِ لانهُ نعمَ الغلامُ الناصرُ
بيت الهنا والسعدُ فيهِ م كل عامٍ عامرُ
والمزُّ فيهِ قد نما والبشرُ فيهِ ظاهرُ
والفخرُ نادى منشدًا ارّخْ غلامٌ باهرُ (١٢٧٩)

(احمد فارس الشدياق) كان مارونيًا لبنانيَّ الاصل مولدهُ في عشقوت سنة ١٨٠٤ ثم انتقل مع والديهِ الى ساحل بيروت سنة ١٨٠٩ فسكن الحدث ودرس مبادئ العلوم اللسانية في عين ورقة ثم قصد القطر المصريَّ فاتقن فيهِ العربية وجعل يكتب في اوَّل جريدة ظهرت هناك اي الوقائع المصريَّة وفي السنة ١٨٣٤ دعاهُ المرسلون الاميركان الى مالطة وولَّوهُ ادارة مطبعتهم فتظاهر بالدين البروتستاني وخدم الرسالة الاميركيَّة بنشاط وطبع في مالطة بعض مصنَّفاتهِ والَّف هناك كتابهُ المرسوم « بالواسطة في معرفة مالطة » ثم تحوَّل مدَّة في انحاء اوربَّة وخصوصاً في فرنسة وانكلترَّة فأكرم اهل تلك البلاد مثواهُ وصنَّف حينئذٍ كتابهُ الفرياق الذي لم يرعَ فيهِ جانب الادب وشفعهُ بكتاب آخر اجدى نفعاً واصوب نظرًا دعاهُ « كشف المخبَّا عن احوال اوربَّا » واشتغل في اندرا في تعريب ترجمة التوراة فزادت بذلك شهرتهُ . ولمَّا جاء باي تونس احمد باشا زائرًا مدينة باريس مدحهُ الشدياق بلاميَّة جارى فيها لاميَّة كعب ابن زهير فأعجب من حسن نظمهِ ودعاهُ الى خدمة دولتهِ في تونس فلبَّى دعوتهُ ورحل

الى المغرب وكان هناك يحرّر جريدة الرائد التونسيّ . وفي مدّة اقامتهِ في تونس سوّل اليهِ اعيانهـا بان يعتنق الدين الاسلاميّ فجحد البروتستانيّة طمعاً بالمناصب كما جحد الكثلكة طمعاً بالمال . وفي السنة ١٢٧٤ (١٨٥٧) طلبتهُ الصدارة العظمى الى الاستانة وعهدت اليهِ تصحيح طباعتها بضع سنوات . وهنـاك باشر السنة ١٢٧٧ (١٨٦٠) جريدته الشهيرة بالجوانب فظهرت ٢٣ سنةً بانشائهِ وانشاء ولدهِ سليم الى السنة ١٨٨٤ فأبطلت . وكانت وفاة احمـد فارس بعد ذلك بثلاث سنوات ١٨٨٧ فنُقلت رفاتهُ الى لبنان كما اوصى قبل موتهِ . ولاحمـد فارس مؤلفات جليلة غير التي ذكرناها اخصُّها سرّ الدال في القلب والابدال على شكل معجم لم يتمّهُ . وكتاب منتهى العجب في خصائص لغة العرب اتلفهُ الحريق قبل ان يُطبع . ثم الجاسوس على القاموس انتقد فيهِ على قاموس الفيروزابادي . وكتاب غنية الطالب ومنية الراغب . وكتابان في تعليم اللغتين الانكليزيّة (الباكورة الشهيّة) والافرنسيّة (السند الراوي) وردود على انتقادات الشيخ ابراهيم اليازجي اللغويّة . وبهنّة المترجم طُبعت في مطبعة الجوانب عدّة كتب ادبيّة قديمة استخرجهـا من مكاتب الاستانة فنشرها بالطبع بالحرف الاسلامبوليّ المشرق . ومن مآثرهِ ايضاً عدّة قصائد ومنظومات طبع منها نبذة في ٢١٩ صفحة سنة ١٢٩١ . فمن اقوالهِ الحسنة ما وصف بهِ الحرب السبعينيّة بين فرنسة والمانية . وهذا مطلع تلك القصيدة التي تزيد عن مئة بيت :

أصبحتَ فرنسا بالرجال وبالمال ... فيا ويحها من بعد عزّ واقبال
اعدّت جيوشاً للقتال وجهّزت ... بوارجَ حربٍ في البحار كأجبال
وقالت الى برلين يا جُندياً تفروا ... فتلك التي قد كدّرت صفو احوالي
وتلك التي قد زاحمتني على العلى ... ولا تنثنُ قطّ اليوم تمطرُ بالبالِ
وصولوا على جرمانيا كلّها فقد ... اراهـا بدا منهـا تحاولُ اذلالي
فلي قيصرٌ قرمٌ حليـلٌ غاشمٌ ... جميع ملوك الارض هيبةَ رئبالِ
اذا أنذر الاملاك حرباً تزلزلت ... ممالكهم من بأسهِ ايَّ زلزالِ

وقال في مطاردة الالمان لنابوليون وفي موقعة سيدان :

تطاردهُ جيش العدوّ معقّباً ... فولّى الى شالون يزعُ كالرالِ
ومنها الى سيدان بالجيش كلّهِ ... عقيبَ معاناةٍ وبؤسى وآجالِ
وذلك حصنٌ عند بلجيكَ حولهُ ... ربىً وتلالٌ حبّذا الوَزَرُ العالي
ولكنّهم تأووا سفاهاً عن الربى ... فحلّت بها الجرمان من دون اهبال

هنالك مع الويل والثرّ والردى بترميل ازواج وتيتيم اطفال
وتيضيع آداب وتقطيع اوصال وتفليق هامات وتدمير اطلال
ويزعم الجرمان فاستسلموا لهم ثمانين الفًا او يزيدون في الحال

الى ان قال ذاكرًا فتنة باريس وخلع الامبراطور :

فلم يبق من ذا الجيش أجمع راجلٌ ولا فارسٌ فالجوُ من ذكرهم خالي
فلما دوت باريس ذا المقطب اعولت وضجّت وباتت في شجون وولوال
وقالت مستثني دولةٌ قيصريّةٌ بإهلاك اجنادي واتلاف اموالي
وانّ صلاحي دولةٌ جمهريّةٌ تُشدّدُ اعمالي وتُصلحُ احوالي
فنادت بخلع الأمبراطور وابنه وثارت لأخذ الثار ثورةَ قسطالِ

وختمها بهذا البيت الحكميّ احسن ختام :

اذا لم يكن للمرء من ربّه هدىً فلا شيءَ يجديه من النيل والنالِ
(لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

E. J. W. GIBB MEMORIAL SERIES: THE IRSHAD AL-ARIB ILA MA'RIFAT AL-ADIB *or* Dictionary of learned men of Yakût, *edited by* D. S. Margoliouth. D. Litt., *London, Luzac and Co*, 1907-1909, 2 vol. XVI-870.

ارشاد الاريب الى معرفة الاديب لياقوت الرومي

في اواسط الصيف من السنة ١٨٩٠ أتيح لنا ان ندخل مكتبة اوكسفرد الغنيّة بمخطوطاتها الشرقيّة فكان الكتاب المدون آنفًا من جملة التآليف التي استحسنّاها ونقلنا عنها بعض مرويّاتها لشهرة صاحبها مؤلف اوسع الجغرافيّات العربيّة معجم البلدان الذي شغفهُ بهذا الكتاب ارشاد الاريب المعروف ايضًا بمعجم الأدباء او طبقات الأدباء . ولقصر وقتنا لم يمكنّا ان ننسخهُ كلّهُ فكنّا نتمنّى ان يقوم يومًا احد الأدباء فينشر هذا التأليف بالطبع وها قد تمّ الامر بعد نحو عشرين سنة بهمّة الفاضل الهمام الدكتور د . س. مرجليوث وامل الذي منع الادباء عن نشر هذا الاثر الفريد انّ النسخة الاكسفرديّة وحيدةٌ لا يُعرف لها ثانٍ للمعارضة بينهما . وهي مع ذلك سقيمة ليست قديمةً فتحتاج